نسيان ا لنفس ...

بقلم الد كتور طه حسين

ما أكثر ما تمنيت على الله عز وجل أن يعلمنى ويعلم المواطنين نسيان أنفسنا حين يجد الجد ويتعقد الأمر وتكثر المشكلات وحين تتصل أعمالنا وأقوالنا بالمصلحة العامة فنسيان النفس فى هذه المواطن هو أقوم سبيل إلى الإخلاص فى القول والعمل والتجرد من الأهواء والأغراض وإيثار الوطن وآماله على منافعنا ومآربنا . والرجل الشجاع حقا هو الذى يستطيع أن يقهر نفسه قبل أن يحاول أن يقهر غيره وهو الذى يستطيع أن يضبط نفسه فى مواطن الرضى والغضب فلا يسرف ولا يغلو ولا يجنى ولا يتجنى ولا يرهق الناس من أمرهم عسرا ولا يؤذيهم فى ذات أنفسهم بما يكره أن يؤذوه به فى ذات نفسه وإذا أقبل الوطن على مثل ما يقبل عليه فى هذه الأيام من الأمور العظام والأحداث الجسام والإصلاح الذى يريد أن يكون شاملا كاملا مستقصيا لكل. شى ء محتاطا لكل طارئ ، كان المصرى الصادق في مصريته خليقا أن ينسى نفسه ومنافعه وأهواءه وأن يخلص قلبه وعقله لخدمة مصر والنصح لها فى كل ما تستقبل من الإصلاح .

أقول هذا كله بعد أن قرأت طائفة من الصحف الفرنسية ورأيت فيها ألوانا من الأحاديث تنقل عن جماعة من المصريين منهم من يحاول أن يبرئ نفسه من كل تهمة ويرد عنها كل منقصة ومنهم من يريد أن يفسر أحداثنا التاريخية الحاضرة وأسبابها القريبة والبعيدة ومنهم من يريد أن يصور آمالنا التى نطمح إليها وأمانينا التى نحرص على تحقيقها وآفاتنا التى نريد أن نخلص منها .

وكل هذا حسن حين تخلص النية وتصفو الضمائر وترتفع النفوس عن الصغائر وتتنزه القلوب من أهواء الحب والبغض والتشفى والانتقام .

وأحب أن أسجل قبل كل شى أنى قرأت أحاديث فى هذه الصحف تنقل عن القائد العام وعن رئيس الوزراء فلم أر فيها إلا خيرا ولم أنكر من جملتها وتفصيلها قليلا ولا كثيرا لأنها لا تتهم ولا تتشفى ولا تدعو إلى انتقام ولا تمكر بأحد ولا تكيد لأحد وإنما تبين أهداف الثورة وآمال الشعب فيها

وخطة الجيش والحكومة فى تحقيق هذه الآمال وبلوغ تلك الأهداف ومن حق العالم الخارجى أن يعرف من أمرنا ما يعطفه علينا ويؤمنه على منافعه في بلادنا ويصور له ثورتنا كما هى لا تريد شرا بأحد ولا ترضى أن يريد بها أحد شرا .

ولكنى قرأت فيما قرأت أحاديث كنت أحب أن يحتاط أصحابها قبل أن يلقوها إلي الذين اتصلوا بهم من الصحفيين الأجانب. لأنها تسى إلى وطنهم في غير موضع للإساءة إليه ودون أن يفكروا هم فى أن يسيئوا إليه .

والمصريون يعلمون حق العلم أن الأحداث التى تحدث فى بلادهم تثير حاجة الأجانب إلى الاستطلاع وتدفع الصحف الأجنبية إلى إرضاء هذه الحاجة بكل ما يلقى إليها من حديث وبكل ما يصل إليها من علم لا تتحفظ ولا تحتاط ولا تريد إلا إرضاء حاجة قرائها إلى المعرفة . وكل ما كان الحديث مثيرا كان حرص الصحيفة عليه أشد وكانت رغبة القارئ فيه أعظم . فمن الحق على المصريين لأنفسهم ووطنهم أن يتحفظوا ويحتاطوا ويذكروا وطنهم وينسوا أنفسهم .

وما أشك فى أن العهد الذى سبق الثورة كان فيه خطأ كثير وشر عظيم ولكن ذلك الخطأ وهذا الشر لا يعنيان الأجانب وإنما يعنيان المصريين والمصريين وحدهم ، فمن كان عنده علم ببعض ما اقترف من إثم أو اجترح من سيئة في حقوق الأفراد والجماعات فسبيله أن ينبئ السلطة المصرية المختصة بما يعلم من ذلك . ولهذه السلطة أن تتخذ ما ترى من إجراء لتعاقب المفسد على إفساده وتجزى الآثم والمسى بما اقترف من إثم وما اجترح من سيئة . فأما الأجانب فليس لهم أن يدخلوا من ذلك فى قليل أو كثير.

ومن أحس من المصريين أن هناك تهما تدور حوله وشبهات تريد أن تمسه وأراد أن يبرئ نفسه من كل تهمة ويرد عنها كل شبهة ويظهرها للناس ناصعة الصفحة نقية الظاهر والغيب من أمرها ، سبيله أن يبرئ نفسه أمام المصريين الذين ينفعه حسن ظنهم به ويسوئه قبح رأيهم فيه . فأما

الأجانب فليس يعنيهم من أمره أن يكون متهما أو بريئا وأن يكون نقى الصفحة أو غير نقيها وإنما هم يسمعون منه ويذيعون عنه ليرضوا حاجة قرائهم إلى الاستطلاع ولا عليهم بعد ذلك أن يسوئوه ويسوؤوا وطنه ومواطنيه جميعا .

وأيسر ما يجب على المصريين لأنفسهم ولوطنهم ألا يذكروا مصر للأجانب إلا بالخير وألا يسيئوا إلى صوتها فى الخارج وأن يعلموا أن رأي الأجانب فينا ليس على ما نحب من الصدق والحب والنصح والإخلاص إنما هم يظنون بنا الظنون ويسيئون فينا الرأى ويحملون علينا من العيوب ما ليس فينا .

فلسنا إذن فى حاجة إلي أن نضيف إلى ظنونهم المنكرة ظنونا أخرى ولا إلى آرائهم السيئة آراء أخرى ولا إلى تهمهم المسرفة تهما أخرى . والأجانب يعلمون حق العلم أن مصر لم تثر حبا للثورة أو رغبة فيها وإنما ثارت لترفع ظلما وتقر عدلا ولتزيل فسادا وتشيع صلاحا وهم يعرفون من الظلم الذى أصابنا والفساد الذي ألم بنا شيئا كثيرا . ولهم فى بلادنا سفارات تلاحظ ما نأتى وما ندع وتسجل ما نعمل وما نقول ولهم فى بلادنا كذلك صحفيون يشهدون أمورنا ويرقبون أعمالنا وينقلون إلي صحفهم من ذلك ما يحبون ، فأيسر ما علينا من الحق لأنفسنا ووطننا حين نتصل بهؤلاء الصحفيين أن نصلح من خطأهم فى الحكم علينا وفى تقديم أعمالنا وأقوالنا لا أن نضيف إلى خطئهم خطأ وإلى تجنيهم تجتنياً .

وأى منفعة للمصريين فى أن يتهم بعضهم بعضا فى الصحف الأجنبية الخارجية بالفساد والإفساد وبالرشوة وبيع الضمير وبالمصانعة فى حقوق الوطن والممالأة عليه . كل هذا إن أنتج شيئا فإنما ينتج سوء الظن بمصر كلها وبأبنائها جميعا سواء منهم من يتحدث إلى هذه الصحف ليصور نفسه فى صورة البطل المغوار والأسد الجسور ومن يتحدث عنهم هذا البطل مضيفا إليهم من الآثام والموبقات ما قد يعجز عن إثباته إذا طولب بإثباته أمام القضاء .

أؤكد للقراء أنى لا أفكر الآن فى نصر مصرى على مصرى ولا فى تأييد حزب دون حزب، فقد

تعودت حين أسافر من مصر أن أترك فيها كل أهوائها واختلافاتها وألا أذكر من وراء البحر إلا أنى مصرى ليس غير. فإذا عدت إلى مصر خالفت ووافقت وخاصمت وصالحت ، أبيح لنفسى ذلك داخل حدود الوطن لا خارجها .

والأيام التى نعيش فيها الآن ليست أيام تخاصم ولا تنافس ولا تنابذ وإنما هى أيام تعاون على تحقيق مصلحة الوطن والوصول به إلي الكرامة التى يطلبها والعزة التى يرجوها والعدل الذى يطمح إليه فكيف بنا ونحن لا نكتفى بالتخاصم والتنابذ داخل حدودنا وإنما ننقل خصوماتنا وعداواتنا وأحقادنا وضغائننا إلى ميادين العالم الخارجى الذى نحن محتاجون إلى أن يحسن ظنه بنا ويصلح رأيه فينا وألا يعتقد أننا دفعناه إلى أن يعتقد أن فى مصر أحزابا وجماعات تتعاون على الإثم والعدوان وعلى البغى والطغيان وعلى إيثار نفسها بالطيبات وتسخير الشعب فى سبيل الأهواء والشهوات .

كم أتمنى أن يتخذ كل مصرى من نفسه على نفسه رقيبا حين يلقى الصحيفيين الأجانب وحين يتحدث إليهم فى شؤوننا السياسية والاجتماعية والاقتصادية أيضا .

وكم أتمنى أن يظهر الرأى العام المصرى على بعض ما يقول فريق من أبناء مصر للصحف الأجنبية ويعرفوا من يغشهم ومن ينصح لهم وليحذروا أولئك الذين يظهرون لهم وجوها مشرقة ويطوون عنهم نفوسا مظلمة .

وكم أتمنى على الله آخر الأمر أن يعلمنا نسيان أنفسنا فإن فى نسيان المرء نفسه فى مواطن الجد والخدمة العامة صلاحا أى صلاح ولم يخلص للوطن ولم يحرص على مصلحته من لم ينس نفسه وإنما ذكرها كل ما عمل أو كل ما قال.

طه حسين

البلاغ ، ١٩٥٢\٨\٢٥